

نظرات معاصرة في القرآن الكريم

(124) إلى أمييين لا عهد لهم بالتعلم، فكان الجهل أول طوق يجب أن يكسر، وكان الجمود الفكري أول حاجز يجب أن يتجاوز، وكان التفوق على الأوهام أول ما يجب التحرر منه، فكانت البداية هذا الافتتاح الرفيع الذي يتناسب مع هذه الثورة الجديدة، إنها الدعوة الفطرية إلى الايمان والعلم بعرض واحد، فهو إرهاب إيمان سينتشر، وإشعار بإفاضات علمية ستضئ، مصدرها □ تعالى، وأدائها العلم، لارتداد المجهول واكتشاف المكنون (1). وتداعت قريش إلى افتراضات متناقضة تجاه القرآن، وضلّت في متاهات حائرة من أمره، فقالوا: أضغاث أحلام، وقد أيقنوا بصحة النبي ويقطته، وعزوه إلى الكذب والاختلاق، وقد وصفوه هم أنفسهم بالصادق الامين، ونسبوه إلى الشعر، وقد علموا أن النبي صلى □ عليه وآله وسلم أبعد ما يكون عن مزاج الشاعر وأخيلته، وما استقامت لهم الدعوى بشيء، فوصموه بسلاح العاجر، وقالوا أنه مجنون، قال تعالى: (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ *) (2). وقد دلت الأحداث الاستقرائية، والسيرة التجريبية للنبي صلى □ عليه وآله وسلم على راحة عقله، وإتزانه الدقيق في تصرفاته كافة، فرددوا قول الكهانة والجنون فرد افتراءهم القرآن: (فَذَكَرْهُمْ فَمَحَا أُمَّتَهُمْ بِرَبِّكَ بِرَبِّكَ هِنًا *) (3) وتمسكوا بأوهن من بيت العنكبوت، فأشاعوا بكل غياب أن لمحمد صلى □ عليه وآله وسلم معلماً من البشر، وهو غلام رومي يمتن صناعة السيوف بمكة، ولا يعرف العربية فردهم القرآن رداً بديهياً حاسماً، قال تعالى: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ مَرْسُلٌ مِنْ رَبِّكَ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ *) (4). وحينما أعيتهم الحيلة، ووقف بهم المنطق السليم، وتداعت الأوهام المتناثرة هنا وهناك إنطلقوا إلى القول: (إِنَّ هَذَا آيَاتُ الْكُرْآنِ يُؤْتِرُ) (5)، وما كان _____ (1) ط: المؤلف، تأريخ القرآن: 38. (2) الحجر: 6. (3) الطور: 29. (4) النحل: 103. (5) المدثر: 24.